38 - السيدة جويرية بنت أبي جهل

اسمها جويرية، والدها أبو الحكم بن هشام، أو عمرو بن هشام المعروف بأبي جهل، كان أشقى قريش وأشدها عداء، وأكثرها إيذاءً للنبي ﷺ وأبعدها عن معرفة الحق.

سبب عداوة أبي جهل

ورب سائلٍ يقول: ما سبب هذه العداوة؟ ولم كان يحقد على رسول الله ﷺ كل ذلك الحقد الذي حاد به عن الإسلام، فنبذ النور وعاش في الظلام؟

لِنُصْغِ إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «**اِزْدَحَمْتُ أَنَا وَعَمْرَو بْنَ هِشَامٍ عَلَى مَائِدَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ، وَنَحْنُ غُلامَانِ، وَكُنْتُ أَسَنَّ مِنْهُ**[1]**، فَدَفَعْتُهُ، فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَجُحِشَ**[2] **عَلَى إِحْدَاهُمَا جَحْشاً لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِهِ**»، وهذا سببٌ أَوَّلٌ!!

وبعد أن آمت السيدة خَدِيْجَةُ بنت خويلد من زوجها في الجاهلية أبي هالة، ويُدعى مالك بن نبَّاش، خلفه عليها بعد وفاته عتيق بن عائذٍ، فلما مات تقدَّم إلى خطبتها الأكابر من قريش، وصفوة زعمائها، وكلهم يتمنَّى أن تصبح الطاهرة له زوجاً، وكان أبو جهل أحد الذين تمنُّوا الزواج منها، ولكنها رفضتهم جميعاً لأنها لم تجد فيهم الرجل الذي يناسبها، وأسف أبو جهل لأنه لم يَحظَ بقبولها، وحزن كثيراً لرفضها إياه، غير أن أسفه وحزنه

(1) أسنُّ منه: أكبر منه يسيراً.
(2) جُحِشَ: خُدِشَ خدشاً بسيطاً.

تحوَّلا إلى حقدٍ بالغٍ على الذي رضيت به بعد ذلك، وآثرته على كل الذين تنافسوا في خطب وُدِّها، والظفر بقلبها.

وكان الذي حظي برضاها، واستراح إليه هواها، خيرة الله من خلقه، سيدنا محمد ﷺ، فلما سمع بذلك أبو جهل قال بأسًى شديدٍ: ألم تجد غير يتيم قريش، وربيب أبي طالب؟!! وهذا سببٌ ثانٍ!!

ولم يستطع أبو جهلٍ كتمان هذا الأمر في صدره حتى أظهره للناس، والألم ينهش فؤاده، ويفتِّت كبده.

وانصرمت عشر سنواتٍ بعد ذلك على زواج الطاهرة المبارك من رسول الله ﷺ، فتعرَّضت مكة لسيلٍ هائلٍ، غمر المسجد الحرام، فخشيت قريش على الكعبة المشرَّفة من التداعي فعزمت على تجديدها، وشاركت كافة القبائل العربية في هذا العمل المشرِّف حتى لا يكون لواحدةٍ منها زيادة فضل في بناء الكعبة.

ولما وصلوا في البناء إلى موضع الحجر السود نشب الخلاف بين القبائل حول أية قبيلة ينبغي لها أن تضع ذلك الحجر في مكانه، وكادت تستعر بينها نار حربٍ شعواء لأن كلاً منها كانت تريد الحصول على هذا الشرف الكبير.

ولما كان أبو أُمية بن المغيرة أكبر القوم سنّاً فقد اقترح عليهم أن يجعلوا أول داخلٍ من باب المسجد حكماً بينهم، فوافق رأيه هوًى في نفوسهم، ورضوا به، وأخذوا ينظرون إلى الباب، فكان أول الداخلين سيدنا محمد ﷺ، فهتف الجميع: هذا الأمين، رضينا به.

ولما أخبروه بما شَجَرَ بينهم قال: «**هلمَّوا إليَّ ثوباً**»، فناوله الوليد بن المغيرة ثوباً، فبسطه رسول الله ﷺ أرضاً ثم أخذ الحجر بيديه الشريفتين ووضعه عليه، ثم قال: «**لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعاً**»، وحين بلغوا مكان الحجر الأسود حمله النبي ﷺ بيديه الكريمتين

وأثبته موضعه، وبات القوم راضين، بما صنعه الأمين، المحاط بعناية رب العالمين؛ وهذا سببٌ ثالثٌ!!

ولقد روى هذه القصة الإمام أحمد في مسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفِسُهُ عَلَى نَفْسِي فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ، فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ، فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَماً، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ: فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ مَكَانَهُ[1].

بَيْدَ أَنَّ رابع الأسباب كان أشدَّها وطأةً على أبي الحكم بن هشام، بل أبي جهلٍ وكبير الأشقياء! فكيف يُبعث إلى محمد بن عبد الله دونه ودون بقية زعماء قريش من ذوي الجاه والمال والسيادة؟ وفيما كان رسول الله ﷺ في الطريق مرَّ به أبو جهلٍ والمغيرة بن شعبة - قبل إسلامه ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «**يَا أَبَا الحَكَم هَلُمَّ إِلَى الإِسْلاَمِ، هَلُمَّ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، أَدْعُوكَ إِلَى الله**»، فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منتهٍ عن سبِّ آلهتنا؟ هل تريد أن نشهدَ أنَّك قد بلَّغت؟ فنحن والله - نشهد أنْ قد بلَّغت، فكُفَّ عنَّا، فوالله لو أعلم أن ما تقوله حقٌّ لاتَّبعتك منذ زمنٍ.

فلما انصرف عنهما رسول الله ﷺ قال أبو جهلٍ لصاحبه المغيرة: والله إني لأعلم أن ما يقوله يتيم بني هاشم حقٌّ، ولكن يمنعني شَيْءٌ لا أملك دفعه

(1) رواه: أحمد/كتاب: مسند المكيين/باب: حديث السائب بن عبد الله ﷺ/برقم: (14957).

فسأله المغيرة: وما هو يا أبا الحكم؟ فقال: إن بني قُصَيٍّ قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم؛ ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم؛ ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم؛ ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى تحاكَّت الركب فقالوا: منَّا نبيٌّ يُوحى إليه، والله لا أفعل.

إذاً، فالقضية عند أبي جهلٍ تنافسٌ ومصاولة بينه وبين بني قصي، إن أبا جهلٍ عرف الحق، ثم أعرض عنه غيرةً وحسداً واستكباراً وعناداً، فكان من الخاسرين.

وكان أبو جهلٍ وأهل بيته أكثر أهل مكة حقداً على رسول الله ﷺ لأن ظهوره منع أبا جهلٍ من أن يكون زعيم قريش في مكة دون منازع، كما حرم رأس المنافقين عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول من أن يتوَّج ملكاً على يثرب بعد أن أجمع الأوس والخزرج أمرهم عليه، وكاد أن يتمَّ له السلطان.

موت أبي جهل

وجاء يوم بدرٍ، ذلك اليوم الذي لقيت فيه قريش شرَّ أيامها، ففقدت كبار زعمائها، وأعز رجالها، وتمكَّن عوف ومعاذ ابنا الحارث وعفراء من قتل أبي جهلٍ، ثم مرَّ به عبد الله بن مسعودٍ وكان به رمق، فأجهز عليه، ثمَّ احتزَّ رأسه، وحمله إلى رسول الله ﷺ وألقاه بين يديه، فحمد الله تعالى، ثمَّ وقف رسول الله ﷺ على ابني عفراء فترحَّم عليهما، وقال: «**رَحِمَ اللهُ ابْنَيْ عَفْرَاء، اشْتَرَكَا فِي قَتْلِ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَرَأْسِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ**»، فقيل: «يا رسول الله، من قتله معهما؟ قال: «**المَلائِكَةُ، وَذَفَّفَ عَلَيْهِ ابْنُ مَسْعُود**»، وفرح المؤمنون بنصر الله.

ثمَّ انقلبوا عائدين مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وعلى هاماتهم أكاليل الغار، تعلوها رايات الانتصار، وكان مصرع أبي جهلٍ باعثاً على زيادة الكراهية في صدر عكرمة وأخته جويرية لرسول الله ﷺ، وظلاً على ذلك

حتى أقبل يوم الفتح العظيم، يوم دخلت كتائب المؤمنين إلى مكة يقودها رسول الله ﷺ لتطهّرها من أوثانها وأصنامها وأرجاسها وظلماتها.

إسلام جويرية وأخيها

وفرّ عكرمة يريد السفر إلى اليمن عن طريق البحر، وصعد بلال رضي الله عنه ظهر الكعبة المشرفة ليرفع صوته بالأذان، وانسابت كلماته عبر الهواء فمسّت القلوب والآذان.

واقتربت من رسول الله ﷺ ثلاث نسوة، هنّ: هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب، وأم حكيم زوج عكرمة بن أبي جهلٍ، وجويرية بنت أبي جهلٍ فبايعن رسول الله ﷺ، وشهدن شهادة الحق.

ثم استأمنت أم حكيم لزوجها عكرمة، وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دمه، فأمّنه، فلحقت به أم حكيم فرأته وقد أوشك أن يركب البحر، فقالت له: لقد جئتك بالأمان، من عند خير الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعاد معها وأسلم.

خطبة علي لها ثم تركها

ولقد أراد علي بن أبي طالب أن يخطب جويرية بنت أبي جهلٍ فلم تَرُقِ الخطبة لرسول الله ﷺ فيما روى البخاري أَنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بَعْدُ، أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللهِ لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ»**.

قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ، وَزَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَة، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مِسْوَرٍ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ صِهْراً لَهُ

مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «**حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لي**»[1].

وفي رواية مسلم عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ ابْنُ يُونُس: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، إِلاَّ أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**»[2].

وروى أبو داود عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ الدِّيْلِيُّ، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لا، قَالَ: هَلْ أَنْتَ مُعْطِيَّ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَايْمُ اللهِ لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَداً حَتَّى يُبْلَغَ إِلَى نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ ﷺ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: «**إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا**»، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ صِهْراً لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «**حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلالاً وَلاَ أُحِلُّ حَرَاماً وَلَكِنْ وَاللهِ لا**

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع/ برقم: (3450).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ/ برقم: (4482).

تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ مَكَاناً وَاحِداً أَبَداً»، قَالَ: فَسَكَتَ عَلِيٌّ عَنْ ذَلِكَ النِّكَاحِ[1].

وتزوَّج عتَّاب بن أُسيد أمير مكة من جويرية، وبقيت عنده حتى ماتت، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: النكاح/ باب: ما يُكره أن يجمع بينهن من النساء/ برقم: (1772).